الخاتمة

لقد تتبعنا فى هذه الدراسة "أدب الجسد" ما دار حول الكتابة فى هذا الباب، ومع ذلك حاولنا بيان صورة هذا اللون فى الآداب الإنسانية، ومدى قبوله أو رفضه، وكذلك الصراعات التي دارت حوله، مروراً بآدابنا وإسهامات كتابنا فى هذا المجال، وإن كانت إسهامات قليلة، إذا قيست بالخطوات الكبيرة والسريعة التي قطعها الغرب فى هذا الإطار، وهى خطوات اتكأت على مذخور هائل تصدرته أنواع من التعبير الخاص عن الذات وإن قابله شيء من الصدام عبر الحضارات التي تواترت على الساحة الغربية، حتى تبلور فى ستينيات هذا القرن بوصفه نوعاً من التعبير يباركه المجتمع على استحياء.

غير أن الأمر يختلف لدينا، إذ لم يمر أدبنا – فى عصره الحديث – بتلك النقلات التي رأيناها فى الأدب الغربى مروراً بالعصور الوسطى – وإنما كان تقليداً بحتاً له فى أصوله الغربية، بل عُدَّ خروجاً وتمرداً صريحاً لكاتبه على الثوابت والموروثات.

ولا يشفع ما فى آدابنا من إشارات إلى هذا اللون، إذ لم يكن هذا سوى تجارب خاصة، لم يكتب لها التوسع والانتشار – كعصورنا – تمثل تجارب فردية بحتة، لا ظاهرة كما هو عليه حال بعضها الآن.

والخلاصة أننا وجدنا أن هذا النوع من الكتابة صدى لمكنونات النفس ومعيارًا لها، إذ هو نتيجة للكبت والحرمان

أحـيانًا، وقد يكون نوعًا من الاعتراف فى أحيان أخرى، يخرجه الكاتـب كما هو دون زيف أو رتوش، جاء كما أحسه، وأبان عنه كما رآه.

وإذا كان بعض هؤلاء يقر بهذا تحت دعاوى كثيرة ومتباينة، كالواقعية، أو حرية الإبداع، فإن الواقعية لا تقر بالنظرة الضيقة المنفصـلة عـن عالمهـا فى كل الأحوال، إذ الواقعية تنظر إلى الوجـود نظـرة شاملة، فهى لا تقف أمام الواقع الضعيف من النفس البشرية، وإنما تتجاوز هذا – مع اعترافها به – إلى ربطه بقضـايا الإنسـان الكبرى، إذ لا تسلط عدستها على نواحى الاضـطراب فيه، وإنما هى تقر بذلك مع كليات أرفع وأرقى، مـتجاوزة هـذا الواقع الدنس إلى واقع أكثر ثراءً وتساميًا، لم ينفصل عن المضمون الإنسانى العام الذى ينظر إلى الوجود نظرة متكاملة، وإلى الإنسان نظرة متكاملة كذلك.

والحقيقة أن المطلع على ما تزخر به المكتبات فى هذا المجال، وبخاصـة فى الآونـة الأخيرة، لا يكاد يخرج بمضامين نقدية أو إبداعـية، إذ إن ذلك فى مضمونه لا يعدو كونه شكلاً واحدًا، يعـبر عن رؤية واحدة أيضًا، حتى لو تعددت معها زوايا التعبير وموضـوعاته، جاء بعضها فى حوارات مسفة وألفاظ ركيكة، وتعـبيرات مبتذلة، وأفكار رخيصة، أخرجت فى أثواب رقيعة، تكشف عن نفوس شاذة سقيمة.

إنهـا أحاديـث النفس والهوى، ومناجاة الذكورة فى حالة شبقها وجموحها، هى مذكرات شخصية أحيانًا، تحكى فيها المرأة عـن ذاتهـا، معددة مفرداتها الأنثوية، ومتتبعة تفاصيلها أحيانًا أخرى .

إنها كتابات الغرف المغلقة، وأحاديث الذات الداعرة ، تقدم

للمراهقين والشواذ تحت مسمى الكتابة والفن ؟!! .

إذ هى كتابات بلا هدف أو مضمون، تهبط من الراقى إلى ما دونه، ومن الرمز إلى المجرد، فى عبارات تافهة، مسفة .

إنهـــا خبرات الأنثى وحديث المرضى ومضطربى النفس ممن وجدوا فى ثنايا التاريخ، إذ لم يخلُ منهن عصر، رأيناهن وقد تفننَّ فى خلـــق ضروب من الخلاعة والمجون، غير عائبات بمجتمعهن وعاداته، أو دينه وأخلاقياته ، أو قيمه الموروثة، فبات ذلك شيئًا مألوفًـــا لديهن ، فأخرجنه عاريًا من الحياء، يلطخ وجه الفضيلة ويسخر منها.

obeikandl.com